المصدر: الوطن القطرية
التاريخ : ٣٠ اكـتوبر ٢٠٠٥

عندما يولد الإعصار الخطير من رحم التقرير المثير

«حتى لا تتكرر حكاية «سَدَّام هُوسين

أحب دمشق كما أحب بيروت, وأعشق كل حبة رمل شامية, وكل ذرة تراب لبنانية, وكل صخرة عربية, ويؤلمني كثيرا سقوط أو إسقاط أية قرية, أو مدينة, أو قلعة من قلاعنا العربية, فما بالك عندما تواجه عاصمتنا الأموية, مخاطر العقوبات الدولية, التي أنهكت ثم أسقطت العاصمة العباسية؟!

هذه المقدمة العاطفية, ربما تكون ضرورية, قبل الخوض في تداعيات العاصفة التي تحدق بالعاصمة السورية, بعد نشر تقرير المحقق الألماني «ديتليف ميليس», حول جريمة اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري,

إنه هدير الإعصار الخطير, يولد من رحم التقرير, ونكاد نسمعه يصمّ آذاننا, وأحسب أن أهلنا في الشام لا يخفى عليهم الخطر المحدق, ولهذا لا بد أن يعيدوا قراءة تقرير «ميليس» مرة ثانية, وثالثة, وعاشرة, ودائمة,, القراءة الواقعية الصحيحة دون الاستهانة بحروفه وسطوره وفواصله,

وبصراحة, سواء كان التقرير عملا سياسيا يرتكز إلى شكوك وفرضيات واستنتاجات لا تستند إلى حيثيات قانونية, كما تراه دمشق, أو كان رد فعل قانونيا لكشف غموض فعل غير قانوني, كما يراه العالم, فلا بد أن تضع الشقيقة سوريا في حساباتها أن تقرير «ميليس» ستترتب عليه إجراءات قضائية, وعقوبات دولية ضدها, بصرف النظر عن الحق والباطل, الذي ورد فيه,

لقد بدأت المشاورات المكثفة في مجلس الأمن بين الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا, لإصدار قرار دولي يدعو سوريا إلى اعتقال أي مسؤول أو مواطن سوري, تشتبه لجنة التحقيق الدولية في تورطه في عملية الاغتيال, ووضعه تحت تصرف اللجنة, كما يمنح مشروع القرار لجنة «ميليس» كل الصلاحيات لتقرر مكان وظروف استجواب الأشخاص, الذين ترغب في استجوابهم, كما ينص أيضاً على تجميد حسابات مالية في الخارج, والمنع من السفر في حق كل الأشخاص الذين تشتبه اللجنة بتورطهم في عملية الاغتيال,

ولكل هذا لا تفيد المكابرة في التعاطي مع نتائج التحقيق في اغتيال الشهيد رفيق الحريري, فما جاء في التقرير الدولي ربما يكون أقل بكثير مما يعرفه كثيرون!

ومن الواضح أن «ميليس» يمتلك من المعلومات أكثر مما أعلنه حتى الآن في تقريره المفتوح على جميع الاحتمالات, ولهذا لن يكون غريبا أن يتم توظيف التقرير دوليا في العديد من المسارات والاتجاهات, التي تؤدي كلها للوصول إلى ساحة الأمويين في قلب دمشق!

ومن هنا ينبغي أن تبرز الحكمة السورية التي عرفناها عبرتاريخنا العربي الاسلامي في دهاء « معاوية» مؤسس الدولة الأموية الذي ابتكر دبلوماسية « الشعرة التي لاتنقطع»,

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

فالسوريون يحتاجون اليوم لهذه الدبلوماسية لمعالجة ما جاء في التقرير, من خلال المتابعة الواقعية لتداعياته, فنحن آخر ما نحتاج إليه الآن هو أن يدير «البعث» السوري الأزمة «الميليساوية» ـ نسبة إلى طيب الذكر «ميليس» ـ كما أدار نظيره العراقي أزمته مع الولايات المتحدة الأميركية,

وكلنا نعرف كيف اختار «صدام حسين» خوض المواجهة ضد «بوش» وحلفائه إلى أقصى حد ممكن, ليجعلهم «ينتحرون على أسوار بغداد», دون حساب لأي عواقب أو تداعيات أو احتمالات, معتمدا على حسابات بالية, عفا عليها الزمن وتجاوزتها المرحلة,

إننا لا نريد أن نرى دمشق تسير إلى مصيرها المجهول على نفس الطريقة العراقية, ولا نريد أن يعاني الشعب السوري الشقيق ما عاناه شقيقه العراقي من حصار دولي وعقوبات دفع ثمنها غاليا, ولكننا نريد من سوريا أن تُقدم على اتخاذ الخطوة الصحيحة التي تخرجها من المأزق, بعيداً عن المنهج السياسي غير الواقعي, والخطاب الإعلامي غير المنطقي, بل غير المقنع لأحد, حتى وزير الإعلام السوري!

وأقولها بصراحة,,,

ليس بتسيير المظاهرات الصاخبة في شوارع دمشق, أو تحريك الجماهير الحاشدة, يكون الرد المناسب على التقرير, فإذا كان هذا الخيار يصلح أيام الحرب الباردة, فإنه لم يعد صالحاً مع هبوب رياح إعصار «ميليس» الساخنة, ولهذا ينبغي على سوريا أن تدرك أننا نعيش عصرا جديدا, يدار بحسابات مختلفة, فما كان يصلح أيام «بريجنيف» و «نيكسون» و «كيسنجر», لا يصلح في زمن «بوش» و «شيراك» و«بلير», وما كان مناسبا أيام الخمسينيات والستينيات والسبعينيات لا يناسب العصر الذي نعيش فيه,

لقد انتهى الزمن الذي كان بمقدور الأنظمة «القومجية» أن تطرح أوراقها الرابحة على طاولة اللعب وَوَلّى بغير رجعة, في ظل التغيير المذهل في موازين القوى والمصالح في العالم, بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وبروز الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة, بل واحدة تسيطر على الكون,

وفي هذا الزمن الأميركي ينبغي على سوريا أن تأخذ العبرة من العراق, وما جرى لرئيسه « القائد المهيب» «سدام هوسين» ,كما ينطقها الرئيس «جورج بوش» ووزيرة خارجيته «كوندوليزا رايس» ووزير دفاعه المتشدد «رامسفيلد»,

ولا بد لدمشق أن تتعلم من التجربة العراقية الكثير, فالمظاهرات الحاشدة التي خرجت في عواصم العالم لتقول «لا» للحرب على العراق, لم تنصر «صدام» ضد «بوش», بل على عكس ذلك, وبالرغم من كل ذلك, فقد تم الغزو الأميركي للعراق, وسقطت بغداد وهذه هي النتيجة الحتمية لأي «حرب ندخلها بمنطق الطبلة والربابة » كما يقول الشاعر السوري «نزار قباني» ,

,,ونحن لا نريد أن تتكرر حكاية «أبوعُدي» المأساوية في بلد عربي آخر, ولا نريد أن نرى زعيما عربيا آخر يساق إلى المحكمة على مرأى ومسمع العالم, ويجلس منكسراً في قفص الاتهام, ولا نريد أن تلحق عاصمة الأمويين بالمصير الذي آلت إليه عاصمة العباسيين,

إننا نحب دمشق كما نحب بغداد, ونعشق كل عاصمة عربية, ولهذا نطلب من القيادة السورية أن تتدارك أمورها بحكمة ونظرة واقعية, ولا تتخذ مواقف عنترية, تدخلها في قلب العاصفة الدولية,

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وأعتقد أن الفرصة ما زالت متاحة أمامها لقطع الطريق على السيناريو الأسوأ, من خلال فعل الاستدارة الفورية المطلوبة, والسير في الاتجاه المناسب, للإفلات من الضغوط الدولية الرهيبة, الممهدة حتماً للتغيير الشامل,

وأول الخيارات وأهمها ـ من وجهة نظري ـ تغيير استراتيجية الوقوف في المربع الأول, التي تنتهجها سوريا ـ أي عدم التحرك إلى الأمام أو الخلف ـ ولا بد أن تحزم دمشق أمرها وتقرر دون تردد التعاون الكلي, وليس الشكلي مع المحقق الدولي «ميليس» وفريقه, بما في ذلك تسليم المشتبه بهم إلى اللجنة الدولية للتحقيق معهم,

فالتضحية بجزء من النظام ـ إذا ثبت تورطهم في جريمة الاغتيال ـ أهون من إسقاط كل النظام حتى وإن كان المطلوبون من أصحاب السلطة والسطوة والسيطرة,

وما من شك في أن الكشف عن مرتكبي جريمة اغتيال الحريري, وتقديمهم للمحاكمة, لم يعد مطلبا دوليا فحسب, وإنما هو مطلب عربي وإقليمي, من أجل تعزيز الأمن والاستقرار في لبنان وفي سوريا أيضا,

وحسناً فعلت القيادة السورية أمس عندما بادرت إلى اتخاذ خطوتين هامتين أولاهما تشكيل لجنة قضائية برئاسة النائب العام, لتتولى مباشرة إجراءات التحقيق مع الأشخاص السوريين, من مدنيين وعسكريين, في كل ما يتصل بمهمة لجنة التحقيق الدولية المستقلة المشكلة بموجب قرار مجلس الأمن رقم 1595, أما الخطوة الأخرى فهي إيفاد وليد المعلم نائب وزير الخارجية السوري, في جولة خليجية, في إطار المشاورت حول سبل احتواء الأزمة التي أثارها التقرير الدولي حول جريمة اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق,

فهذا التحرك الدبلوماسي السوري وإن جاء متأخرا قليلا حيث كان من الضروري أن يتم باتجاه جميع العواصم العربية والغربية المعنية, فور نشر التقرير الدولي في العشرين من الشهر الجاري , إلا أنه خطوة سورية هامة في الاتجاه الصحيح,

انهما خطوتان ضروريتان لامتصاص الضغوط الخارجية على سوريا, وأتصور أن بإمكان دمشق أيضاً قلب الطاولة على رؤوس منتقديها ومهدديها, والاستفادة من الأزمة لتحسين صورتها فيما يتعلق بتعاطيها مع الملف اللبناني, وتأكيد حسن نواياها تجاه لبنان, من خلال الإقدام على خطوة دبلوماسية ثالثة ستحسب لها لا عليها,

فهي إن كانت مؤمنة حقاً بسيادة لبنان واستقلاله وخياراته الديمقراطية, فلماذا لا تبادر إلى تبادل التمثيل الدبلوماسي الكامل معه, خصوصا بعد انتهاء مرحلة «المندوب السامي» التي لعبتها على مدى الثلاثين عاما الماضية على الساحة اللبنانية, ودفعت بعدها كل هذا الثمن القاسي؟

أقول هذا, وأنا أعرف ماذا تعني لبنان لسوريا وماذا تعني سوريا للبنان, فإذا كانت بيروت على مدى العقود الثلاثة الماضية هي الرئة التي تتنفس منها دمشق, حيث من كان لا يستطيع فتح فمه في «ساحة المرجة» فتحت له «الروشة» ذراعيها ليقول شعرا وشعارات, ففي المقابل فإن دمشق كانت وما زالت وستظل هي العمق الاستراتيجي الذي يحمي بيروت,

ولا يسعنا قبل ساعات من انعقاد الاجتماع الوزاري للدول الأعضاء في مجلس الأمن غدا سوى القول حفظ الله سوريا ولبنان, وسائر قلاعنا العربية من كل شر,

أحمد علي

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية